توصيف نظام التواصل اللغوي لدى الطفل المتأخر دراسيا

Characterization of the language system of the underachieving child

أ.فاطمة الزهراء صادق*
mamanta2007@yahoo.f
جامعة عبد الحميد بن باديس

تاريخ الاستلام : 2017/12/23 ؛ تاريخ القبول : 2018/02/16؛ تاريخ النشر :2018/10/31

ملخّص: تعتبر اللغة وسيلة اتصال وتفاهم لما يخدم العملية الاتصالية، ينفرد بها الإنسان دون غيره من المخلوقات، كونها من أبرز الوسائل التي يستعملها الإنسان للتعبير عن خبراته ومشاعره وآراءه، تتجلى الوظيفة الأساسية للغة في "الاتصال" communication فهي من أكثر الوسائل المتاحة استعمالا لهذه الوظيفة، ونظرا لأهمية الوظيفة التواصلية للغة ،يجدر بنا أن نحلل الوضعية التواصلية للكشف عن مختلف العناصر الضرورية لتأمين عملية التواصل والبحث عن العلاقات الممكنة بهاته العناصر.

الكلمات المفتاحية: اللغة، التواصل، الرسالة الكلامية، الشفرة

Abstract:

communication and understanding of what serves the communication process, unique to the human without other creatures, being one of the most important means used by man to express his experiences and feelings and views, reflected the basic function of language in the "communication" is one of the most available means to use this function, For the importance of the communicative function of the language, it is useful to analyze the communicative situation to reveal the various elements necessary to secure the process of communication and search for possible relationships by elements.

Keywords: Language, communication, letter of words, code

***corresponding author**

مقدمة

الإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه، يعيش داخل مجتمعات أو تجمعات، فهو إذن بحاجة إلى غيره ليتعامل معهم من أجل التفاهم ونقل المعلومات. وخدمة لهذه الغاية، أوجد الإنسان لنفسه وسائل متنوعة، وكانت " اللغة" الوسيلة المثلى والأكثر فعالية في التواصل والإبلاغ.

ومن هنا كان التواصل عنصرا بالغ الأهمية في الحياة الإنسانية، فالحياة ذاتها تواصل مستمر، والتواصل هو " فعل حضاري ضروري لدى الشعوب والمجتمعات".(أحمد عزوز، 2005، 40)

تمر عملية التواصل الإنساني عبر مراحل ؛مرحلة تكوين الرسالة، وإطلاقها أصوات وهذه تخص المتكلم، والمرحلة الثانية هي تلك التي تنتقل فيها الأمواج الصوتية عبر الهواء إلى أن تدق طبلة الأذن عند المستمع ثم تنتقل إلى دماغه ، أما المرحلة الثالثة فهي التي يقوم فيها السامع بحل رموز تلك الرسالة الصوتية والتوصل إلى تركيبها الصوتي والصرفي والنحوي ويستخلص منها المعنى الذي يقصده المتكلم ،فهي كالمرحلة الأولى من أعصى المراحل على التحليل والوصف لأنها تتم كلها داخل الدماغ.(عبد السلام المسدي، 1984، 28 29)

وبالتالي تشتمل عملية الاتصال على مرحلتين:

1. الترميز codage
2. فك الترميز Décodage

لكل لغة علامات ورموز لغوية خاصة، ينتقيها الباحث للتعبير عن أفكاره، ويقوم المتلقي بفك شفراتها وتلقي الرسالة. وينقسم التواصل الإنساني بصفة عامة إلى شقين التواصل اللغوي وغير اللغوي

فالأول: ينحصر في العملية الكلامية الحاصلة بين المرسل و المتلقي عن طريق إصدار الصوت اللغوي الإنساني بينما الثاني وما يسمى بالتواصل غير اللغوي أو غير اللفظي الذي يعبر به برموز غير لغوية ترافق الصوت اللغوي غير المنطوق بحركات الجسم بغية توصيل أو نقل منظومة المرسلة اللغوية وتعزيزها مما يترك أثرا في ذهن السامع ، وهذا ما يعد أرقى وأسمى وسائل الاتصال بين البشر .

فاللغة نظاما "من النواقل ذات المعنى وتستلزم اثنين فأكثر، حتى عندما تتكلم إلى نفسك فأنت تجرد من شخصك فردا متكلما وآخر سامعا تعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي السابق بين أعضاء الجماعة اللغوية، على المعنى أو المعاني التي تستدعيها أصوات خاصة".(ماري وباعي، 40،1983)

يتطلب الاتصال اللغوي توفر الأنظمة الاتصالية الآتية:

- رسالة خاصة في نظام محدد (معلومات حسية،بصرية، سمعية...)
- وحدة تشفير الرسالة (المستقبلات الحسية)
- وحدة إرسال الرسالة (الأعصاب) قد يكون الإرسال من العضو إلى المخ أو من المخ إلى العضو
- وسط تنتقل من خلاله المستقبلات الحسية إلى الجهاز العصبي المركزي عن طريق الوصلة العصبية (الوصلات العصبية، الوسائط الكيميائية).
- وحدة فك وترجمة اللغة المرسلة بها إلى نظام وظيفي ثم أخذ القرار وإرسال الاستجابة (الرد) إلى المراكز المخية العليا (عبد الوهاب محمد كامل، 1994، 116)

1 أنواعه:

1.1 **التواصل اللفظي:** يستند إلى اللغة اللفظية المسموعة المنطوقة أي اللغة التعبيرية التي تسمح للفرد بنطق اللغة.

ويظهر التواصل اللغوي على شكل عبارات أو تعبيرات شفهية أو كتابية تتبادلها الأطراف في موقف معين لغرض معين عن واقعة معينة(عبد العزيز شرف، 1998، 72 73)

2.1 **التواصل غير اللفظي:**يحدث بين المتحدث والمستقبل عن طريق قراءة الشفاه أو لغة الإشارات وأبجدية الأصابع، وهي عبارة عن وسائط غير لفظية أو لغوية تمكن الفرد من تقريب الصورة والفكرة لغرضفهمها وإدراكها دون نطقها.

غالبا ما يحدث التواصل بلغة لا نفهمها نحن، تظل منبع انشغال الأخصائيين في هذا المجال، إذ لم تصل الأبحاث العلمية بعد إلى تفسيرها وبيانها كما هو الشأن بالنسبة للغة الحيوان،حيث نلفي في القرآن الكريم الحكاية عن منطق الطير وحديث النملة .... الخ ولا ندري كيف يتم ذلك.

وهنا نلفي تعبيرات الوجه التي تعتبر من أسرع الوسائل التي تنقل المعاني من المرسل إلى المستقبل، وأكبر مصدر للاتصال غير اللفظي، كونها تنقل مشاعر الآخرين وعواطفهم تجاهنا، ولكن ليس من السهل قراءة تعبيرات الوجه لأنها تعطينا معاني وتخفي عنا أخرى(نور الدين زاردي، 2005، 56)

بما أن اللغة تهتم بدراسة علم اللسان، لذا ينبغي دراستها باعتبارها ظاهرة صوتية، وما الصوت المعبر إلا ناقلا لرسالة من المرسل إلى المستقبل عبر قنوات وتنظيمات، وتعد عملية الإرسال أهم الحلقات في المنظومة الكلامية، سواء على مستوى الشبكة اللغوية أم السلسلة الكلامية (سعاد بسناسي، 2005، 119).

ونخلص بهذا إلى أن الرمز اللغوي غير المنطوق ينوب مناب العبارة عند تبليغ وتوصيل الرسالة، نذكر على سبيل المثال: التعبير صورا وأشكالا عدة "فقد أعبر عن المقصود لا بالكلمات فحسب بل كذلك بحركات اليد أو بهز الرأس أو بتغيير ملامح الوجه وغير ذلك من الوسائل الأخرى(حنفي بن عيسى، 73 78)

2 عناصر التواصل اللغوي: اهتم اللسانيون بأشكال التواصل اللغوي هذا ما نستنبطه في كتاب العام الغربي السويسري **دي سوسير** "محاضرات في اللسانيات العامة " عام 1916، عندما تحدث عن كيفية حدوث التخاطب اللساني، ورأى أن اللغة نسق من العلامات والإشارات هدفها التواصل وتحتاج العملية التبليغية أو التواصلية إلى باث ومتلقي وقناة لتبليغ أو نقل المرسلة اللغوية، فهي عملية عقلية كما عبر عنها أثناء اتحاد الدال بالمدلول، أو عند تقاطع الصورة السمعية مع التصور أو المفهوم الذهني.

اقترح مخطط بياني لهذه العلاقة الثنائية التي تنهض على تصور أن العنصر (أ) يبث رسالته إلى العنصر (ب) عن طريق تسرب الهواء من الحنجرة إلى الفم مدويا صوتا أو رسالة صوتية تعبر عن عما يختزن في الدماغ أو الذهن ،فتبلغ رسالته بواسطة الصورة الأكوستيكية السمعية التي تلتقطها أذن المتلقي والتي تحولها إلى دماغه وتفك شفرتها ، والعكس صحيح إذا أراد المتلقي (ب) أن يجيب سيتكرر الأمر ولكن من قبل العنصر (ب) وتحدث العملية على النحو التالي: ينطلق الصوت من الحنجرة (ب) لينتهي إلى أذن العنصر (أ) فتتحول

الرسالة إلى دماغه "الباث" لإزالة وفك اللبس والغموض وصولا إلى فهم الفكرة التي يريد توصيلها المتلقي إلى البات.

ومن الواضح أن هناك جهاز ذكي وميكانيكي يتمثل في الملكة اللغوية التي وهبها الله سبحانه وتعالى لأبناء البشر جمعاء، يمتاز بها الإنسان عما سواه من الكائنات الحية، يعد منبع التواصل القائم بين طرفين اثنين فهناك الدماغ: الذي يبث الفكرة أو التصور الذهني إلى الحنجرة آمرا إياها بالنطق،واختيار الألفاظ والكلمات المناسبة لها، وهذا يكون الطرف الأول الذي يتركب من جهاز معقد هو:

1- الدماغ: الذي يفكر في تصور الفكرة لتشكيل الرسالة

2- أهمية أعضاء النطق "الحنجرة، اللسان، الفم " لما لها من صلة بهما، قادرة على نقل المعاني المجردة عبر الموجات الصوتية.

بينما الطرف الثاني "المتلقي" يكون مزودا بجهاز السمع (الصورة الأكوستيكية)لالتقاط وإدراك الرسالة، لكن وإن شاء الحوار وجب عليه أن يصنع لنفسه جهازا أو نظاما يجعله يعبر عما يختزن في ذهنه من تصورات مجردة يبثها عن طريق النطق لتبليغ المعلومات إلى السامع.

ويمكن **حصر هذه العملية التواصلية في المخطط الآتي:**

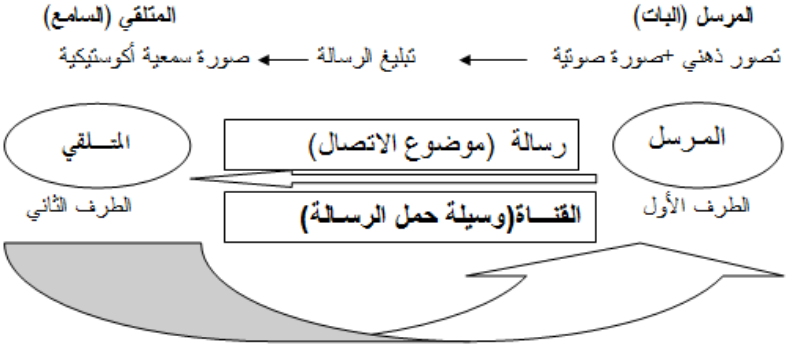

أما في حالة إجابة المتلقي على الرسالة التي تلقها من المرسل سنوضحها فيما يلي :

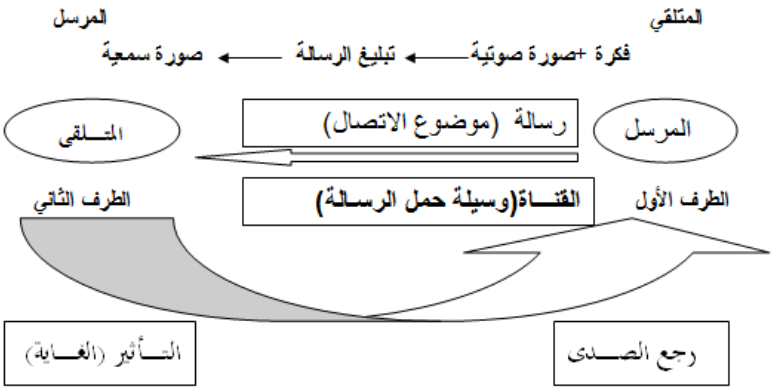

3 من سمات طرفي التواصل:

المرسل	المتلقي
1 نطق الصورة الصوتية	1 الصورة السمعية
2 تصور ذهني	2 الصورة السمعية +التصور الذهني
3 الصورة السمعية	3 الصورة الصوتية

بيد أن النظرية التوليدية التحويلية التي نادى بها **تشو مسكي** اهتمت بالجانب الشكلي "المكتوب" وتناولت القواعد التوليدية التحويلية "TGG«، رفضت بشكل قاطع اللغة المنطوقة كمادة للبحث اللساني معتبرة إياها " أداء اللغة preformance " حيث ركزت بدلا من ذلك على "الكفاءة اللغوية compétance»؛ أي الشكل التجريدي المثالي للغة ذلك الشكل الموجود في أدمغة المتكلمين(مازن الوعر، 1989، 78)

إن هذه النظرية لم تستطع تجاوز العلاقة بين الميكانيكية التي تحدث بين متخاطبين اثنين ولم تجاوز ذلك إلى الخطاب الأدبي من حيث هو شبكة معقدة من النصوص بحيث يستحيل في الوقت الراهن فك كل ألغازها وتحليل كل أبعادها وتفسير كل رموزها إلا تحت إجراء التأويلية، ويطلق عليها نظرية الاتصال.

4 مقارنة التواصل اللغوي لدى الطفل العادي والطفل المتأخر ذهنيا:

الطفل العادي	الطفل المتأخر دراسيا
1 يصدر المرسل أصواتا لغوية دالة نتيجة منبه أو مثير خارجي. 2 يعمل جهاز الإرسال أو النطق على نطق الأصوات سليمة 3 يتلقى جهاز الاستقبال الرسالة عبر الخلايا الحسية العصبية. 4 يقوم المرسل إليه بفك الشفرة اللغوية بواسطة تحويل الموجات الصوتية المستقبلة المسؤولة إلى نظام في المراكز العصبية على إدراكها، أثناء استقبال المرسل إليه الرسالة تحدث عملية الاستثارة من أثر المنبهات والمثيرات الخارجية إلى المستقبلات الحسية العصبية، التي تنتقل إلى المركز العصبي في المخ بصورة شفرية ليقوم الجهاز العصبي المركزي بفك الشفرة وتحويلها إلى المركز العصبي بفك الشفرة وتحويلها إلى المركز الحركي	1 يصدر المرسل أصواتا لا تتناسب مع عمره العقلي وكأنه يصدر كلاما طفوليا. 2 يعمل جهاز الإرسال على نطق اللغة بشكل مضطرب ومشوش. 3 يتلقى جهاز الاستقبال الرسالة عبر الخلايا الحسية العصبية. 4 يواجه المرسل إليه صعوبة في إدراك وفهم وتشفير الرموز اللغوية أثناء عملية الاستثارة، تنساب المعلومات من أثر المثيرات الخارجية المستقبلة من طرف الخلايا الحسية العصبية التي تنتقل مباشرة بوصلات عصبية إلى المخ، ونظرا للخلل الوظيفي في المراكز العصبية الدماغية أو عدم اكتمال النضج العقلي صعوبة في فك الشفرة من انتقاء وتصنيف وفهم واستيعاب سوء الاتصال الوظيفي إلى تأخر في الاستجابة.

وعندئذ تحدث الاستجابة. 5 يحدث التواصل اللغوي عن طريق الخطاب الشفهي الذي يتشكل عبر موجات صوتية في الهواء. 6.تصاغ الرسالة إما مرئية أو بصرية أو سمعية.	5 يحدث التواصل اللغوي عن طريق الخطاب الشفهي الذي يتشكل عبر موجات صوتية في الهواء. 6 يتعدد ويتنوع شكل وصياغة الرسالة.

يعاني الطفل المتأخر دراسيا من اضطراب في إدراك اللغة بسبب إصابة وتلف المناطق المسؤولة بالقشرة الدماغية يخفقون في استقبال وتحليل المعلومات التي ترتبط بتنظيم التركيبات الرمزية وهذا ما ينعكس على اضطراب الذاكرة الكلامية.

وقارن الباحث" سكيتكات" (Schittekatte)[10]بين قسمينالقسم الأوّل خاصّ ويضمّ أطفالا متأخّرين ذهنيا، والثاني قسم عاديوحاول تحليل مستوى التواصل بين التلاميذ والمدرّس لمدّة عشرة (10) سنوات، داخل القسم، فلاحظ ما يلي:

- مستوى التواصل بين المدرّس والتلاميذ في القسمالخاصّ ، يتّسم بطابع الفردية بنسبة 78%، بينما تبلغ نسبة الفردية في القسم العادي 53%.
- طول ملفوظات المدرّس ومستوى تركيباتها أكبر وأعمق في القسم العادي مقارنة بالقسم الخاص.

يجيبُ المدرّس في القسم الخاصّ عن أسئلته التي طرحها دون أن يترك فرصة للتلاميذ بينما ينتظر مدرّس القسم العادي إجابات التلاميذ ويحفّزهم من أجل التوصّل إليها.

ومن هنا تتضح ملامح الاضطرابات المعرفية المصاحبة لشاط الذاكرة العاملة لدى الأطفال المتأخرين دراسيا، الذين يعانون من صعوبات تعلمية تعتري هذه الفئة المستهدفة مقارنة مع أقرانهم العاديين، ذلك أن سيكولوجية الذاكرة واستراتيجية تنظيم المعلومات هي نشاط عقلي يعكس القدرة على تجهيز ومعالجة المعلومات واسترجاعها، منها إلى اضطرابات نفس حركية، اضطرابات في الذاكرة والإدراك لديهم، من شأنها إحداث خلل في عملية تشفير الأصوات المسموعة ومعالجتها، مما يعيق العملية التعليمية التّعلميّة.

الهوامش:

أحمد عزوز:" التبليغ المعرفي والبيداغوجية"، مجلة اللغة و الاتصال، وهران، ع1،2005

عبد السلام المسدي : اللسانيات من خلال النصوص،، الدار التونسية للنشر والتوزيع ،دط ،1984 ،ص 28 29.

3 ماري وباعي :أسس علم اللغة ،تر :د. احمد مختار ، عالم الكتاب المصري ، القاهرة ، ط2 ،1983، ص 40.

4 عبد الوهاب محمد كامل :علم النفسي الفيزيولوجي ، ومكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2 ،1994 ،ص 116.

5 عبد العزيز شرف:" المدخل إلى وسائل الإعلام"، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989،ص72 73.

[6] نور الدين زاردي :"الخطاب القرآني وعملية الاتصال"،مجلة اللغة و الاتصال ، وهران ،ع 1 ، 2005، ص 56.

[7] ينظر :سعاد بسناسي :" قدرات الإرسال ومقاديرها في التواصل اللغوي " ، مجلة اللغة و الاتصال ،وهران ، ع 1 ،2005 ، ص119.

ينظر : حنفي بن عيسى : محاضرات في علم النفس اللغوي ،ص 73.8

[9] ينظر : مازن الوعر :دراسات لسانية تطبيقية ،دار طلاس ،ط1 ،1989،ص 78.

[10]- Voir : Rondal (Jean-A) , langage et communication chez les handicapes mentaux, Op.cit ,P146.